

« ان السياسة التي تنسج عليها تركيا هي ايجاد الاترياب والشك بين الحلفاء والعرب ، وهي توسوس للعرب ان الحلفاء يرغبون في الاراضي العربية ، ان بريطانيا وحلفاءها ستقف بجانب الامم العربية لتبني عالما عربيا ، وهي تكرر وعدها السابق بتحرير الشعوب العربية، وستساعد العرب لينالوا حريتهم » .

بالفور الى الشريف حسين ١٩١٨

« الانجليز وما ارا ك بامرهم غير العليم

قد يستنيم اذاهم حينا وليس بمستقيم

كالنار تذكها الريا ح فكيف تطفأ بالنسيم

خير الدين الزركلي عن الانجليز مع الحسين

لفصل الأول

خديعة بريطانيا للعرب

١ - هل كانت ثورة العرب على الاتراك ضرورية ؟

ان اللجنة العلنية الاولى التي وضعها الانجليز في بناء تهويد فلسطين كانت تتمثل في وعد بالفور ، ذلك الوعد الذي بدأ الانجليز ينفذونه بحماسة وتصميم منذ دخلوا فلسطين عام ١٩١٧ ، حيث تبدلت على الارض المقدسة صورة الحاكم ، من حاكم يمنع المؤامرات اليهودية ، ويضع في وجهها السدود ، الى حاكم جديد يعمل على تمهيد جميع السبل للفتك باهلها وانزال الدمار بهم .

ولعله لم يكن مؤكدا دخول الانجليز فلسطين منتصرين ، لولا ثورة العرب على الخلافة العثمانية ، ومشاركتهم الانجليز في حرب الاتراك والاضرار بهم ، مشاركة ارغمت تركيا على ان تحارب في ميدان كانت آمنة فيه معتزة به ، ومكنت الانجليز من الاستعانة بالعرب فوفروا جنودهم لميادين اخرى ، واطمانوا لمنطقة شاسعة امتدت من المدينة ومكة في قلب الجزيرة العربية الى اقصى حلب الشهباء قرب الحدود التركية .

وليس معنى هذا اننا نستطيع ان ندين قوما العرب في هذا الكتاب ، بانهم اسباب النكبة وعواملها الاوائل ، فان هذا يقتضي بحثا اشمل ، ومقارنة دقيقة ، وتعمقا في دراسة مؤيدة بالاسانيد عن العلاقات التركية العربية آنذاك .

ولكن الذي نريد ان نصل اليه هو اعطاء صورة سهلة عن الوضع الظاهري لتلك العلائق التي ادت الى الثورة ، والتي غداها الانجليز ، ووعدوا في سبيل قيامها وعودا مهمة ، كانوا ينوون خلفها قبل ان يسطروا نصوصها .

فلقد كانت الامبراطورية العثمانية تعيش تحت حكم السلطنة المباشر ، وكانت تتألف من اجناس متعددة ، تضم الى جانب الاتراك انفسهم البلغار

واليونان والصرب واليوغسلاف ، كما تضم البلاد العربية ، ولا ريب أن العرب اسهموا زمنا طويلا مع الأتراك في انتصارهم وثبات دولتهم ، فقد كان الدين الاسلامي الوشيجة الاولى التي ربطت بين جنسين اخلصا لهذا الدين زمنا طويلا ، والركيزة الأساسية التي قام عليها الود والألفة ، فعاشا في دولة واحدة تستمد منهما القوة والثبات .

لقد كانت هناك شكاوى من تسلط الحكام وانعدام الحياة البرلمانية ، وكانت انظار العرب تتجه دائما الى الأساليب الحديثة في الحكم ، وهم يشعرون ان الحياة بلا دستور يضمن حق الكلمة والتعبير والمساواة ، واتاحة الفرص هي حياة بعيدة عن معناها العميق ، وحين أعلن « المشروطية » (١٤) الدستور العثماني عام ١٩٠٨ اتاحت الفرص لهم أن يسهموا في الحياة النيابية بعاصمة الخلافة ، اذ دخل كثير من العرب مجلس « المبعوثان » وهو المجلس النيابي التركي ، ومارسوا الحياة البرلمانية داخله ، وكونوا جبهة عربية فيه كان لها مواقف مشهودة في المناقشات البرلمانية (١٥) .

ولكن تلك الفرصة التي اتاحت للعرب لم تكن هي التي حمت فلسطين من تغفل اليهود وتسلطهم في فلسطين ، فان التاريخ يثبت قبل ذلك أن السلطان عبد الحميد أشهر سلاطين آل عثمان قوة وانفرادا بالحكم ، لم ينصع لاغراءات اليهود واتصالاتهم العديدة ، فقد كانوا يعرضون المساعدة على انشاء اسطول عثماني بحري ، ومساعدة السلطان في سياسته الأوروبية ، وانشاء جامعة عثمانية في بيت المقدس تغني عن الذهاب لأوربا ، والمساعدة في المشروعات العمرانية ، وأن يعقدوا له قرضا ماليا يكفي لتنفيذ المشروعات المقررة (١٦) ، وأن يسددوا ديون الدولة العثمانية وكانت كبيرة ثقيلة ، وأن يدفعوا اتاوة سنوية تساعد الدولة على اصلاح اقتصادها المنهار ، وأن يكونوا لها عوناً لدى الدول الغربية ، وكانت هذه الدول تعد العدة للقضاء على تركيا .

ومع هذه العروض التي كانت مهمة جدا بالنسبة للوضع العام في دولة الخلافة ، كان اليهود يصوغون طلباتهم صياغة بعيدة عن فكرة الغزو

(١٤) هذا هو التعبير الذي اطلق في حينه على معنى الدستور باعتباره وثيقة ذات شروط للحكم بين الخليفة والشعب .

(١٥) دكتور محمد أنيس وليف من زملائه أعضاء هيئة التدريس في كلية الآداب جامعة القاهرة : المجتمع العربي . القاهرة سنة ١٩٦٠ ص ٢٠٦

(١٦) عجاج نوبهض مجلة الحوادث اللبنانية عدد ٢٧ من ابريل (نيسان) ١٩٦٥

والاحتلال ، مظهرين أن قصدهم ينحصر في أن يجدوا ارضا يسكنونها ، ويتجمعون فيها ، تحت رعاية الدولة العثمانية ، وعلى الرغم من هذه الحيل كان رد عبد الحميد عام ١٩٠١ م وقيل صدور الدستور بسبع سنوات ، وقبل أن يسهم العرب في الحياة البرلمانية العثمانية ، كان من القوة والصد بحيث سجله زعيم الصهيونية الكبير دكتور هرتسل في مذكراته (١٧) :

« انصحوا الدكتور هرتسل بالألا يتخذ خطوات جديدة في هذا الموضوع ، اني لا أستطيع ان اتخلى عن شبر واحد من الأرض ، فهي ليست ملك يعني ، بل ملك شعبي ، لقد ناضل شعبي في سبيل هذه الأرض ، ورواها بدمه ، فليحتفظ اليهود بملايينهم واذا مزقت امبراطوريتي يوما فانهم يستطيعون أنذاك ان يأخذوا فلسطين بلائمن ، اما وانا حي فان عمل المضع في بدني لاهون علي من أن أرى فلسطين قد بترت من امبراطوريتي ، وهذا امر لا يكون . اني لا أستطيع الموافقة على تشريح اجسادنا ونحن على قيد الحياة(١٨) » .

ويحدثنا التاريخ أن هذا الرفض القوي من دار الخلافة في تركيا لم يكن الاوول للوقوف ضد مطامع اليهود في فلسطين ، بل لقد حدث أن حددت الولايات المتحدة هجرة اليهود اليها عام ١٨٨٢ م ، وبدا السفير الامريكى في الاستانة يراجع وزير خارجية تركيا ويبدل لديه الجهود بشأن اسكان اليهود في فلسطين وسوريا ولكن الباب العالي الذي قبل اسكانهم في بعض المناطق رفض السماح لهم بسكنى فلسطين ، ولم يسفر تدخل بريطانيا في الامر عام ١٨٨٧ م عن نتيجة ايجابية (١٩) .

وهناك حادث سياسي آخر له دلالة العميقة ، اذ انتهز السلطان عبد الحميد الثاني فرصة وفاة الخديوي توفيق في ٧ من يناير (كانون ثاني) ١٨٩٢ وتولية ابنه عباس حلمي فأراد اخراج شبه جزيرة سيناء من الحكم المصري وكانت التقاليد تقضي عند تولي وال جديد حكم مصر ان يصدر « فرمان » من سلطان تركيا بتعيينه في هذا المنصب ، وأن ينص في فرمان التعيين على حدود الولاية التي يناط به حكمها ، وصدر فرمان السلطاني

(١٧) احمد الشقيري : محاضرات عن قضية فلسطين : معهد الدراسات العربية القاهرة ١٩٥٤ ص ٣٤ .

(١٨) محاضرات في تاريخ قضية فلسطين ، ص ١٧ .

(١٩) المصدر السابق ، ص ١١ .

دون ذكر لشبه جزيرة سيناء ، وحضر المشير أحمد أيوب باشا الى مصر لتلاوته في الحفل التقليدي الذي يقام في هذه المناسبة .

ولما علمت وزارة الخارجية البريطانية بأمر هذا الفرمان ، ثارت ثائرتها ، ووقعت أزمة عنيفة حتى قررت تركيا في ٨ من ابريل (نيسان) ١٨٩٢ ترك شبه جزيرة سيناء جزءا من الاراضي المصرية (٢٠) .

وقد اختلفت آراء الباحثين في تفسير الباعث الذي حمل السلطان عبد الحميد على اخراج شبه جزيرة سيناء من الحكم المصري ، ونرى انه كان هدفا لضغط صهيوني شديد وان الصهيونية كحركة سياسية هادفة قد اشتد ساعدها في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر ، وان الصهيونية قد استعانت في ضغطها على السلطان ببريطانيا وفرنسا والمانيا على السواء ، وكان يشعر بثقل هذا الضغط ، اذ كان قد مضى على توليه العرش قرابة ستة عشر عاما ، خبر فيها التيارات السياسية التي كانت تعمل سرا وجهرا لتأييد الصهيونية ، وان الصهيونية ترنو بأبصارها نحو شبه جزيرة سيناء ، وهو يعرف عطف بريطانيا على الصهيونية واهدافها . وخشي أن تستغل بريطانيا نفوذها وسيطرتها على الحكومة المصرية الواقعة تحت نير الاحتلال البريطاني ، فتقدم بريطانيا تسهيلات توطيد اليهود في هذه المنطقة فأراد أن يقضي على مثل هذا الاحتمال بإبعاد شبه جزيرة سيناء من نفوذ الانجليز .

وإذا كان قد أقر أخيرا حدود مصر الطبيعية بسيناء فان حركة الفصل المذكورة كانت اعلانا وتحذيرا لحكومة مصر وللشعب المصري مما يخشاه على سيناء ولعل ذلك امر فعلا .

على أن اليهود وهم اصحاب المكر والحيل كانوا قد تسربوا في تركيا عن طريق طائفة الدونمة التي تظاهر افرادها بالاسلام وحملوا الأسماء التركية ، وانضموا تحت لواء « جمعية الاتحاد والترقي » . ويوم انتصر الاتحاديون على السلطان عبد الحميد في سنة ١٨٠٩ ، وأوفد مجلس النواب ثلاثة من أعضائه لخلعه عن العرش ، كان أحد هؤلاء الثلاثة يهوديا يدعى « قره

(٢٠) عبد الرحمن الرافعي : مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية . الطبعة الثالثة سنة ١٩٥٠ ص ٢١٥ - ٢١٧ .
دكتور حامد سلطان : القانون الدولي العام في وقت السلم يتاير (كانون ثاني) ١٩٦٢ ص ٦٢٤ - ٦٢٥ .

صو افندي « (٢١) سبق ان طرده السلطان من مجلسه في قصر « يلدز » حين حاول التأثير عليه لاسكان اليهود بفلسطين . وانه لمنظر مليء بالشماتة والحق ، ان يخلع سلطان الدولة العثمانية وخليفة المسلمين وان يحمل له بلاغ الطرد احد ابناء اليهود الذين حرم عليهم فلسطين ، وفرض عليهم الجواز الأحمر الذي لا يبيح لهم الإقامة اكثر من ثلاثة شهور .

ولكن الصهيوني هرتسل كان قد وجه انذارا قبل ذلك الى السلطان عبد الحميد ، ضمن خطابه الموجه الى يوسف الخالدي كبير النواب العرب في مجلس « المبعوثان » العثماني يقول فيه :

« قدمت الى عظمة السلطان عروضنا العامة ، واني واثق انه بفضل ذكائه الفائق سوف يوافق مبدئيا على الفكرة على ان يبحث مستقبلا تفاصيل اخراجها الى حيز التنفيذ ، اما اذا رفض فسنواصل البحث ، وصدقني سوف نهتدي الى مكان آخر وفقا لما نريده ، وفي هذه الحالة سيضيع على تركيا بلا رجعة آخر سهم في متناول يدها لتنظيم ماليتها والنهوض باقتصادها ان من يصارحكم بهذا القول هو صديق مخلص للاتراك ، فاذكروا ذلك دوما » (٢٢) .

٢ - الجمعيات العربية :

وكانت الجمعيات العربية قد بدأت تعمل سرا ، يدعو اكثرها الى اثبات حق العرب لحكم انفسهم في نظام لا مركزى ضمن الامبراطورية العثمانية ، وتتابع تأسيس هذه الجمعيات لا سيما بعد ان استولت جماعة الاتحاد والترقي على حكم الامبراطورية العثمانية ، واتضح بسرعة اتجاهها القومي الطوراني الذي كان يتمثل في احياء أمجاد الأتراك الأوائل وربط الأتراك المعاصرين بتراثهم الحضاري التركي الأصيل ، وتخليص الفكر التركي من المؤثرات الخارجية العربية والفارسية التي دخلت عليه .

وكان هذا الاتجاه الطوراني في لحمته وسداه دعوة سافرة لسيادة الجنس التركي في الامبراطورية العثمانية ، وانعكس هذا الاتجاه الطوراني بشكل عنيف على الولايات العربية فيما يعرف بحركة التتريك ، اي تترك الولايات العربية ، فجعلت اللغة التركية لغة رسمية في المدارس والمحاكم

(٢١) أمين الحسيني : حقائق عن قضية فلسطين ، الطبعة الثالثة سنة ١٩٥٧ ص ١٢٠ .
(٢٢) محاضرات في تاريخ قضية فلسطين ، ص ١٨ .

وغيرها (٢٣) .

ولا شك ان سياسة حزب الاتحاد والترقي الذي تسرب اليه اليهود « الدونمة » كما اسلفنا والذي سيطر على الحكم في الدولة من سنة ١٩٠٩ حتى قيام الحرب العالمية الاولى قد استنفرت العرب، فالفوا الجمعيات السرية والاحزاب الوطنية العلنية . فكانت الجمعيات العربية على التوالي :

جمعية الاخاء العربي المؤسسة بالاستانة سنة ١٩٠٨ ، وجمعية المنتدى العربي سنة ١٩٠٩ ، والجمعية القحطانية سنة ١٩٠٩ ، وجمعية العربية الفتاة المؤسسة في باريس ثم في سوريا سنة ١٩١٢ ، وجمعية العلم الأخضر المكونة في الاستانة سنة ١٩١٢ ، وجمعية بيروت الاصلاحية سنة ١٩١٢ ، وجمعية البصرة الاصلاحية ، وجمعية العهد المؤسسة بالاستانة سنة ١٩١٣ وجمعية الجامعة العربية المؤسسة بالقاهرة سنة ١٩١٠ ، ثم حزب اللامركزية المكون في مصر والذي ضم نخبة من رجالات الشام كان من اشهرهم رفيق العظم والسيد محمد رشيد رضا ومحب الدين الخطيب والدكتور شبلي شميل وسامي الجريتلي وغيرهم ، ويتبع ذلك انعقاد مؤتمر الشبان العرب في باريس سنة ١٩١٣ وقرارهم الارتباط مع حزب اللامركزية في مصر (٢٤) .

وعلى الرغم من تعدد هذه الجمعيات العربية ، لم تخرج واحدة منها عن صداقة الاتراك ، والعمل على النهوض بالعرب والدفاع عنهم في الدولة ، وتمكينهم من حكم انفسهم في نظام لا مركزي ، وضمن اطار الدولة .

ولا يستثنى من هذه المبادئ الا الجمعية القحطانية المؤسسة في مصر (٢٥) ، فقد اختلفت حولها آراء الباحثين ، يرى بعضهم انها تنادي بمقاومة الترك وتحريض العرب على الثورة والانتفاض (٢٦) ، ويرى البعض الآخر ان هدفها كان تحقيق مشروع جديد جريء ، وهو تحويل الامبراطورية

(٢٣) المجتمع العربي ، ص ٢٠٧ .

(٢٤) امين سعيد : الثورة العربية الكبرى ، تاريخ مفصل جامع للقضية في ربع قرن .

لثلاثة اجزاء . مطبعة عيسى البابي الحلبي بالقاهرة ، د . ت ا ج ١ ص ٢٥ .

(٢٥) عرف من اعضائها حقي العظم ، فؤاد الخطيب ، عزت الجندي ، عزيز المصري .

(٢٦) جورج انطونيوس : يقظة العرب . تاريخ حركة العرب القومية . تعريب الدكتورين

ناصر الدين الاسد واحسان عباس . بيروت ١٩٦٢ ص ١٨٦ .

وانظر ايضا جلال يحيى : المدخل الى تاريخ العالم العربي الحديث دار المعارف

القاهرة ١٩٦٦ ص ٤٨٦ - ٤٨٧ .

وانظر كذلك المجتمع العربي ، ص ٢١٣ .

العثمانية بجناحيها التركي والعربي الى امبراطورية ثنائية تشبه الامبراطورية النمساوية المجرية التي كانت قائمة حتى نهاية الحرب العالمية الاولى . فتؤلف الولايات العربية مملكة واحدة لها برلمانها وحكومتها المحلية ولغتها الرسمية عربية، على ان تكون هذه المملكة جزءا من امبراطورية تركيا، وبهذه الطريقة يصبح مصير العرب والاتراك اوثق التحاما على اسس ثابتة ، لانها اسس اقرب الى تمثيل الواقع .

٣ - الشريف حسين بن علي :

وكان الشريف الحسين بن علي يمثل في ذلك الوقت اكبر الاسر العربية مكانة ، فهو امير مكة والمهيم على الحرمين الشريفين ، وكان يمثل جانبا محترما لدى الدولة العثمانية ، واليه تنو انظار العرب في اقطارهم المجاورة في نظرة مليئة بالاكبار والاحترام .



الشريف حسين بن علي

وكان الشريف الحسين ابا لاربعة من الأبناء هم علي ، وعبدالله ، وفيصل ، وزيد ، وكان فيصل ذا صلة بدولة الخلافة ، يتردد على الاستانة ويزورها ، ويمر في طريقه اليها بديار الشام لحاجة في نفسه هي ان يكون على اتصال وثيق مستمر بالزعماء فيها ، فكان يجتمع في دمشق وغيرها بالعديد من شباب العرب المثوب والمليء حماسة على حقوق العرب ، والدافع غيرة على بعض ما يديه الأتراك من اهانة للعرب أو اضهاد أو اهمال .

٤ - الانجليز يبدؤون التفرير بالعرب :

لم يكن الانجليز بعيدين عن أحداث العرب وعلاقتهم بالترك واستغلال اي خلاف يبدو بينهم .

وكان الامير عبدالله يتردد كثيرا على القاهرة والاسكندرية في روحاته العديدة بين مكة والاسانة ، وتقابل مرارا مع بعض موظفي دار المعتمد البريطاني بالقاهرة الذين زاروه حين نزل ضيفا على الخديوي ، فأحجم عن مبادلتهم الود وأخبر الممثل العثماني بذلك ثم تطور هذا الاحجام الى لقاء اكثر تجاوبا ، وحدث في اثناء مقابلة تمت بالقاهرة في ٥ من فبراير (شباط) ١٩١٤ مع لورد كتنشر المعتمد البريطاني في مصر ان افاض الامير عبدالله في شرح اسباب الجفاء بين والده الشريف حسين والأتراك وسخط العرب عامة عليهم ، بسبب الاتجاهات الطورانية التي طبعت تصرفات رجال الاتحاد والترقي ، وأشار عبدالله انه من المحتمل اذا عزل الأتراك والده من امارة مكة ان تندلع الثورة قوية رهيبية في اقليم الحجاز لنصرة الشريف حسين ، وقرر ان والده قد بدا في الاستعداد لمواجهة مثل هذا الموقف ، وان زعماء العرب يريدون التحرر من الحكم المركزي العثماني الجديد (٢٧) وأنهم يسوا تماما من اقتناع الأتراك بأحقية العرب في مطالبهم المتواضعة وبحق العمل معهم في اطار الوحدة العثمانية ، وقد شهد هذه المقابلة رونالد ستورز السكرتير الشرقي في دار المعتمد البريطاني ، وقد لقي هذا التلميح العربي استجابة لدى الانجليز ومن ثم بدأت بريطانيا الخطوة الأولى لتحطيم العرب والأتراك على السواء ، والوصول الى خلق أسفين صهيوني في قلب العالم العربي ، فسلم رونالد ستورز بالسفارة البريطانية بالقاهرة كتابا من حكومة بريطانيا الى الشريف حسين في مكة كان ملخصه:

(٢٧) المجتمع العربي ، ص ٢١٩ .

ان بريطانيا تشكر الشريف على خدمته للاماكن المقدسة وسهره على راحة الحجاج ثم دست عبارة مثيرة هامة أنهت بها رسالتها :

« انها لا تعارض في ارجاع الخلافة الى العرب (٢٨) »

ولا ريب ان هذه الكلمة التي اطلقتها بريطانيا في رسالتها الى الشريف حسين ، بقيت تختمر عنده وتعظم ، وتزيدها الأحداث أهمية منذ تاريخ ارسالها في الشهر الثامن من عام ١٩١٤ ، الى اليوم الثاني من يونيو (حزيران) ١٩١٦ ، حيث بدأت ثورة مسلحة وقوية، يحطم بها العرب المسلمون مراكز الأتراك المسلمين وحصونهم .

ولكن بين هذين التاريخين ، وخلال الاثني والعشرين شهرا ، وقعت أحداث هامة لا يمكن اغفالها في الحديث عن الباب الذي دخل منه الانجليز الى جزء مهم من القضية العربية الكبرى ، والى فلسطين بنوع خاص .

فقد دخلت تركيا الحرب الى جانب دولتي الوسط في ٣١ من اكتوبر (تشرين الاول) ١٩١٤ في اثناء الاتصالات التي قامت بين الانجليز وبين الشريف حسين ، وبدأت تعد كل امكانات الامبراطورية العثمانية لمواجهة القتال والاشتراك فيه .

٥ - العلاقات العربية التركية :

وبينما كان الامير علي بن الحسين يرافق وهيب باشا قائد الحجاز وواليه في يناير (كانون ثاني) ١٩١٥ للاشتراك في حملة عسكرية على قناة السويس ، اذ سقطت احدى الحقايب من بين امتعته الشخصية ، وتدل ملابس الحادث على ان فقد الحقيبة كان مدبرا فقد لاحظ الشريف حسين تغيرا ملموسا في موقف الوالي وهيب باشا ، ومما يدل على ان الأمر كان مبيتا أن الحقيبة لم تسلم لصاحبها بل حملت الى الحسين وفحصت وعثر فيها على وثائق تتضمن الدليل على مؤامرة تدبرها الجهات الرسمية على حياته هو واولاده ، واتخذ الحسين من هذا الحادث ذريعة لكي يرسل ابنه الأمير فيصل الى الاستانة ، ليعرض على دوائرها العليا قصة الوثائق ، وييدي استياء والده العميق من هذا التآمر على حياته وحياة اولاده ، وفي الواقع كان الدافع لسفر الأمير فيصل هو المرور بدمشق ، والاتصال بالزعماء العرب في عاصمة الشام ، ومعرفة موقفهم من عروض انجلترا .

(٢٨) الثورة العربية الكبرى ، ج ١ ص ١٢٧ .

دورها الكبير لدى مجامع العرب ، حتى ارسل الحسين الى انور باشا وزير الحربية البرقية التالية :

« ان خروج الدولة العلية منصوره من الحرب الحاضرة يتوقف على اشتراك جميع العناصر العثمانية فيها ولا سيما العرب ، والجانب الاهم من ميادين القتال في بلادهم وتأييدهم لها قلبا وقالباً في نضالها .

ويلوح لي ان ارضاء الشعب العربي يتوقف على مداواة قلبه الذي جرحه اتهام عدد كبير من ابنائه بتهم سياسية مختلفة ، والقبض عليهم ومحاكمتهم امام المحاكم العسكرية بالدواء التالي :

١ - اعلان العفو العام عن المتهمين السياسيين .

٢ - ازالة سوريا ما تطلبه من استقلال مركزي .

٣ - جعل وراثة مكة وراثية في اولادي وبقائها على حالتها الحاضرة .
فاذا قبلت هذه المطالب فاتهمد بحشد القبائل العربية بقيادة ابنائي في ميدان العراق وميدان فلسطين ، واذا لم تقبل فارجوكم الا تنتظروا مني شيئاً سوى الابتهاج للحق جل وعلا بان يهب للدولة النصر والتوفيق (٣٠).

والحق ان هذه البرقية كانت مفتاحاً صالحاً لفتح مغلقات التفاهم بين الجانبين ، فكان من الممكن جداً ان ترد السلطات التركية بقبول بعض بنودها ، ورفض بعضها الآخر ، وكان من الممكن ايضا تأجيل النظر في استقلال سوريا الداخلي (وكانت سوريا تمثل كل الشام من حدود مصر الى حدود تركيا) وتأجيل وعد الشريف بوراثة ابنائه ولكن الجميع كان يهتم ويشغل بأمر الشبان العرب المعتقلين في عاليه ، ولهذا كان يجب على انور باشا ان يستجيب لهذا الطلب حتى يساعد في اقامة حجة تاريخية هامة سيما وان موضوع المعتقلين كان قد بحث ايضا بين جمال باشا نفسه والأمير فيصل في مقابلات عديدة كان واضحاً فيها اصرار جمال على سياسته الارهابية .

بل ان الشريف حسين نفسه ابرق الى الدولة يشترط لالتزامه الهدوء والسكينة ، الاعتراف باستقلال الحجاز ، والعدول عن محاكمة احرار العرب ، واطلاق عفو عام عن المعتقلين ، وعاد الحسين فأبرق من جديد الى جمال باشا مختصراً طلباته وحاصراً لها في اطلاق سراح المعتقلين واطلاق عفو عام .

(٣٠) الثورة العربية الكبرى ، ج ١ ص ١١٠ - ١١١ .

ومدى تحمسهم لها واستعدادهم لتنفيذها (٢٩) .

لم يكن فيصل مكتفياً آنذاك بنقل الوالي المذكور ، ولكنه أبدى استعداداً لقيادة قوة عربية جديدة ، والاشتراك جدياً في حملة القنطرة الثانية ، بعد ان فشلت الحملة الاولى ، ولكنه طالب رجال الحكومة الاتحادية باطلاق سراح شباب العرب المعتقلين في عاليه بجبل لبنان ، واصفا سياسة جمال باشا حاكم الشام بأنها سياسة عداء للعرب ، وطالب باللامركزية للحجاز ، وبامارة وراثية لوالده .

ولا ريب ان تولي احمد جمال باشا حكم الشام كان نكبة تاريخية للعلاقات بين العرب والترك ، لا سيما في ذلك التاريخ الذي شحنت فيه النفوس بالاستعداد للحرب ، والدفاع عن ارض الدولة العثمانية ، ذلك ان جمالا هذا صور حزب الاتحاد والترقي اشنع صورة يمكن ان تظهر لشعب محكوم ، فقد كون مجلساً عسكرياً في عاليه ، واعتقل عدداً من شباب العرب ورجالهم ، واحاط تحقيقه بسرية رهيبة مخيفة ، وانتشرت الاشاعات والافوايل بان تركيا تستهدف قهر العرب وتتركهم واذابتهم . ولهذا حين ناقش فيصل سلطات العاصمة التركية في امر ورائق وهيب باشا المشار اليها ، اضاف الى نقاشه ايضا ، ضرورة اطلاق سراح المعتقلين ، واشعار الشعب العربي بأنه جزء مهم من الدولة ، يمثل الثقة والتعاون لا الخيانة والمروق .

وعلى الرغم من الامل الذي خامر فيصل فان شيئاً من تبدل سياسة جمال في الشام لم يطرا .

وحين كان الانجليز يفرغون الحسين بملك عربي كبير واعادة الخلافة الى العرب ، كان الحسين يحاول ان يصل مع الأتراك الى تفاهم جذري ، يصلح الامر ، ويضمن للعرب حكماً مركزياً داخل نظام الدولة العثمانية ، ومع طول الانتظار بدأ يرسل الأتراك جهرة بأرائه ويحدد مطالبه .

والآن ونحن نتجه الى الحديث عن فلسطين ومقدمات نكبتها والدور البطولي الذي قام به شعبها ، لا بد لنا من ان نرجع قليلاً الى الثغرات التي تسرب منها الانجليز ، حتى نفذوا مخططهم في قلب الأمة العربية ، وزرعوا شجرة السوء الاسرائيلية في فلسطين .

فما كادت قضية المعتقلين السياسيين الذين كبلهم جمال باشا تأخذ

(٢٩) بقظة العرب ، ص ٢٢٢ - ٢٢٤ .

مبيتا ، ودون النظر الى ما يوجهه او يدفع اليه (٣٣) .

على أنه من انصاف التاريخ أن نذكر انه بينما كان المجموع الأكبر من هؤلاء الشهداء أرباء أحرارا ، فان قلة صغيرة اعدمت في تواريخ متتابعة يقول جمال باشا أن اسماءهم وجدت في مستندات القنصلية الفرنسية حين طوح بالعرف الدبلوماسي بعيدا ، وهاجم القنصلية مفتشا عن المستندات وباحثا عنها ، وكانت تقارير القناصل الفرنسيين تشير الى اتصالات مشبوهة ، يتضح منها محاولة الاستعانة بفرنسا وانجلترا على حرب الأتراك ، ومخاطبة فرنسا باعتبارها الحامية للوطنية في لبنان وسوريا .

بل بلغ من بعضهم أن لام القنصل الفرنسي لأن زعماء فرنسا الذين يسيطون في بياناتهم حنوهم على المسيحية في لبنان يتناسون المسلمين على الرغم من ودهم لفرنسا وثقتهم بها ، وحين يثبت (٣٤) هذا قضائيا لا ينتظر من جمال باشا ولا من غيره ان يفعل غير ما حدث .

على أن حكام تركيا من الاتحاديين كانوا قد عرفوا أحرار العرب منذ أن اباح الدستور العثماني حرية الصحافة وحق الكلمة الحرة ، والظاهر أنهم صمموا أن يزولوا من طريقهم أولئك الذين أسهموا في تكوين الرأي العام العربي ، والذين حملوا في مقالاتهم على سياسة جمعية الاتحاد والترقي الحاكمة في تركيا ، ولهذا نجد أن كثيرا من أولئك الشهداء كانوا من الصحفيين او رجال القلم الى جانب بعض من رجال الأحزاب والهيئات العربية (٣٥) .

ولاحقت أحكام الاعدام الغيابية جمعا آخر من رجال الصحافة العرب من أبناء الشام المقيمين في مصر (٣٦) ، وغيرهم ممن يتولون الكتابة

(٣٣) القضية الفلسطينية ، ص ٢٨ .

(٣٤) الثورة العربية الكبرى ، ج ١ ص ٦٨ - ٦٩ .

(٣٥) المصدر السابق ، ج ١ ص ٢١٩ - ٢٢٢ . وهم عبد الحميد الزهراوي صاحب جريدة الحضارة الاستوائية ، عبد الفنى العريسي والامير عارف الشهابي من جريدة المفيد البيروتية ، وعمر حمد المحرر بالمفيد ، والشيخ احمد طباره صاحب جريدة الاصلاح البيروتية ، وسعيد عقل المحرر بها ، جرجس حداد محرر جريدة الراوي الدمشقية ، وعلى ارضازي صاحب نهر العاصي الحموية ، وشكري المسلي صاحب القيس الدمشقية ، ويندوباولي صاحب الوطن البيروتية .

(٣٦) هم الدكتور بشر فارس صاحب المقطم ، والسيد محمد رشيد رضا صاحب المنار ، وداود بركات محرر الاهرام ، ومحب الدين الخطيب المحرر في المؤيد ، وابراهيم سليم النجا ، قسطنطين بني محرر جريدة دليل حمص ، وخليل زينة محرر جريدة الثبات في بيروت .

ولكن السياسة التي كانت تسير عليها الدولة في ظل حزب الاتحاد والترقي لعبت بها الصهيونية ، وتسربت فيها سياسة الارهاب التي بداها وغداها جمال باشا ، وكانت واضحة في الرد الذي تلقاه الشريف من انور باشا ، كان ردا بعيدا عن اللين وسياسة الايلاف والتفاهم ، وتحديا صريحا للشريف الذي كان يتلقى العروض والخطابات من الانجليز وهو متردد في اجابتهم والسير معهم ، ولعله كان في حاجة الى اقل تقارب واکرام من دولته الاسلامية لتقوي روحه في مدافعة الانجليز ورفض عروضهم ، والوقوف الى جانب دولة الخلافة ، ولكن رد انور باشا جاء يقول :

وصلت برقيتكم الهاشمية الفائلة ان احراز النصر يكون باشتراك ابناء الأمة قلبا وقالبا ، ولما كان طلب اعلان عفو عن بعض المتهمين وتطبيق نظام اللامركزية في سوريا واستبقاء اماره مكة في شخصكم السامي وفي اولادكم خارجا عن اختصاصكم ، فالاستمرار في طلبه ليس من مصلحتكم في شيء ، وانني ابلغكم انه لا بد من ان ينال الموقوفون عقابهم . الى آخر البرقية الشديدة اللهجة العنيفة التعبير (٣١) .

وفي العشرين من اغسطس (آب) ١٩١٥ بدأ الارهاب يأخذ صورة خطيرة ، يراد بها تحطيم اعصاب الشعب العربي واذلاله ، ويرتسم في معاملة لم تعرف الا من حكومات الاستعمار والظفيان ، فقد دفع جمال باشا بنخبة من احرار العرب الى المشانق في بيروت ودمشق (٣٢) ، وقد بلغ عددهم اثنين وثلاثين من رجالات العرب ، وهم الأحرار الذين طالما جادل الحسين في سبيل العفو عنهم واطلاق سراحهم ، وعلى الرغم من محاولة التشنيع لبعض هؤلاء الأحرار ووصفهم بالخيانة للدولة في وثائق يدعى الحصول عليها من قنصلية فرنسا في بيروت ، فان البيانات الرسمية وكذلك مذكرات جمال نفسه لم تستطع أن تلتصق بهم الا الانتماء الى الجمعيات العربية وحزب اللامركزية ، وهي هيئات لا تدعو الى ما يعاقب عليه بالاعدام ، ولكنها هادفة الى اصلاح حال العرب والنهوض بهم ، وتمكينهم من حكم مناطقهم حكما يتلاءم مع الدولة العثمانية ، ويتفق مع المصالح المشتركة بين العرب والترک ، والواضح ان تلك المشانق التي نصبت في بيروت ودمشق عامي ١٩١٥ ، ١٩١٦ كانت معدة قبل المحاكمة السرية السورية التي تمت في عاليه بلبنان والتي ثبت ان الاعدام كان امرا

(٣١) المرجع السابق .

(٣٢) ٦ من مايو (ايار) ١٩١٦ .

والمطالبة بالحقوق للعرب ، وصدرت احكام بالابعاد على عدد آخر من رجال القلم العرب(٣٧) .

ويأتي دور رجال السياسة والجمعيات فأعدم جمال باشا صديقه المقرب عبد الكريم الخليل احد مؤسسي المنتدى الادبي في الاستانة ، وأعدم ايضا سيف الدين الخطيب وتوفيق رزق سلوم ، كما اعدم كل من امكن اعتقاله من رجال حزب(٣٨) اللامركزية او الداعين اليها .

ويلحق بهؤلاء السياسيين بعض الضباط العرب الذين اراد بهم جمال باشا ارهاق العنصر العربي في الجيش العثماني ، فأعدم منهم الأمير سليم الجزائري ، وامين لطفي الحافظ وعلي النشاشيبي(٣٩) ، كما اعتقل من اعتقل من الضباط العرب في عاليه ومنهم علي رضا البيلاني ، وجميل الالشي ، ورضا الخطيب ، وسالم مظلوم ، وأرسل عددا من الضباط العرب الى خطوط النار في ميادين القتال ، وقد استشهد كثيرون منهم .

(٣٧) منهم يوسف العيسى ، وعيسى العيني صاحب جريدة فلسطين اليافوية ونجيب نصار صاحب جريدة الكرمل الحيفاوية ، محمد صبحي عقدة صاحب جريدة الجانوس اللاذقية ، وعلي الفرا صاحب جريدة النديم الدمشقية ، وامين الغريب صاحب جريدة الحارس البيروتية . واعتقل ايضا الصحفي العراقي حلمي العمر ، ونجيب شقير صاحب جريدة بياض ، واحمد عزت الاعظمي صاحب مجلة المنتدى الادبي وتوفيق اليازجي محرر جريدة الاصلاح البيروتية .

(٣٨) منهم صالح حيدر وسليم الاحمد عبد الهادي - ذكر الاستاذ اكرم زعيتير بمجلة العربي مارس (ايار) ١٩٦٤ انه يحتفظ بوصية الشهيد المكتوبة بخط يده وهذا نصها :

« اكتب هذه الوصية في الساعة الثانية والنصف من ليلة السبت الموافقة ١١ شوال ١٣٣٠ عربية حيث حكم علي بالموت في الساعة التاسعة من الليلة المذكورة اعني اني اكتب هذه قبل موتي بنصف ساعة واني مسرور بلقاء الله سبحانه وتعالى » .

ويؤكد الاستاذ زعيتير انها مكتوبة بخط جميل ، يدل على استجماع مبقري للذهن في ساعة الموت الرهيبة ، ومسلم عابدين ومحمود الحمصاني ومحمد الحمصاني ونور الدين القاضي وعبد القادر الخرسا ، ومحمود العجم ، اما الشيخ سعيد الكرمني وحافظ السعيد فقد حكم عليهما بالسجن المؤبد .

(٣٩) هذا الفقيه العربي ذكر في المجلد الاول من كتاب الثورة العربية الكبرى للاستاذ امين سعيد باعتباره احد ضباط الجيش التركي على حين ذكره الاستاذ اكرم زعيتير في عدد مارس (اذار) ١٩٦٤ من مجلة العربي باعتباره احد رواد القضية العربية الاولى الذين تفخر فلسطين بانجابهم وكان طبيبا بيطريا ، وهو احد اقطاب الجمعية التحطانية ، وموقد جدور الوطنية في ناشئة القدس ، وقد اتهم بأنه يسوق الى استقلال العرب على حد تعبير الحكمة العرفية .

ثم عمد جمال باشا حاكم الشام التركي الى اجلاء عدد كبير من الاسر العربية عن ديارها ، والاستيلاء على اراضيها ، وأرسلها الى جبال الاناضول وانحاء متفرقة من تركيا ، بعيدين عن ديارهم ومواقع صباهم ، وموزعين بين مجموعات جديدة لم تألفهم من قبل ، ولم يسبق لهم معها عهد ، لا سيما وقد سبقهم ما انتشر من انباء من أنهم عرب ابعدوا ضمنا لمصلحة الامن ، وحفاظا على الدولة ، ولا بد أن هذا خلف نظرة ساخطة لدى الاهالي والأتراك بالنسبة لهم ، فكانوا يلقون كثيرا من المتاعب والهوان ، لا يخفها ابدا ما اقطعوه من اراضي ، بدلا من اراضيهم المصادرة في بلادهم ، فكان هذا عملا تعسفيا جديدا اضيف الى قوافل الشهداء الذين اعدموا ، والى العدد الكبير الذي امتلأت به السجون والمعتقلات .

ولقد كان العرب يتوون مساعدة الدولة على الرغم من الخلاف السياسي ، ويحفظ لنا التاريخ ذلك الاجتماع الذي عقد في منزل شكري باشا الأيوبي في ١٥ مارس (اذار) سنة ١٩١٥ وحضره الدكتور عبد الرحمن الشهبندر وخالد الحكيم وسليم الشمعة والشيخ تاج الدين الحسيني وعبد الكريم الخليل وغيرهم ، وقرروا مساعدة الدولة والمخاربة الى جانبها ضد الأعداء ، وتآليف عصابات عربية لتواصل الحرب اذا اضطر الترك الى الانسحاب(٤٠) .

بل وصل الأمر لأكثر من هذا ، فبينما كان دعاة الاصلاح يطالبون باللامركزية وبمطالبتهم المعروفة لصالح العرب ، تألف في دمشق حزب الاصلاح الحقيقي ، وكان يضم عددا مهما جدا من كرام العرب ورجالهم(٤١) ، وأصدر بيانا أنحي فيه باللائمة على مؤتمر الاصلاح المنعقد في باريس ، واتهمه بأنه يعمل ضد الدولة بمعاونة الأجانب ، وأن الدولة في محتتها بحرب البلقان تحتاج الى المساعدة ، وأن الجميع يطلب اصلاحا ، ولكنهم لا يكيدون للدولة ، بل هم يطلبونه مباشرة وبلا واسطة ، ودعوا الى عقد مؤتمر في الاستانة (عاصمة بلادنا المحبوبة) (٤٢) . ونادوا بتأييد

(٤٠) الثورة العربية الكبرى ، ج ١ ، ص ١٠٨ .

(٤١) المصدر السابق ص ٥٢ .

(٤٢) كان من أشهر رجال هذا الحزب رئيسه محمد فوزي باشا العظم ، وعبد الرحمن اليوسف ، والامير شكيب ارسلان ، والشيخ احمد الشقيري ، والدكتور حسن الامير ، وطه المدور والشريف علي حيدر باشا والشريف جعفر باشا ، والزعيم الليبي سليمان الباروني والنائب الليبي يوسف شتوان ، والشيخ عبد العزيز جاويش ، والشيخ صالح التونسي ، والشيخ اسماعيل أنصف وغيرهم .

الدولة في كفاها الخارجي وعدم ازعاجها بمطالب داخلية .

٦ - تلهف بريطانيا على الاتفاق مع الحسين :

وإذا راجعنا التاريخ الذي حاول فيه الحسين صرف الدولة العثمانية عن اعدام الاحرار العرب الذين اعدوا بعد ذلك بين ٢٢ من أغسطس (آب) ١٩١٥ و ٦ من مايو (ايار) ١٩١٦ ، نجد أن هذه الفترة استغلتها بريطانيا لاغراء الشريف واعداه نفسيا للثورة ، وهي تمنيه بمجد باذخ وملك شامخ ، وهي تدرك تماما أنه اهتم بمراجعة الأتراك لاصدار عفو شامل واطلاق سراح المعتقلين، وأن الأتراك رفضوا هذه الوساطة بصلف وكبرياء.

وكانت بريطانيا قد اوفدت قبل ذلك مندوبا لا شبهة عليه (علي افندي اصفر) من حي الجمالية بالقاهرة ، فحمل رسالة الى الأمير عبدالله من مستر رونالد ستورز السكرتير الشرقي لدار الحماية البريطانية ، وكانت الرسالة الأولى التي يتساءل فيها رونالد ستورز هذا باسم لورد كتنشر وزير الحربية البريطانية عما اذا كان عبد الله والدة لا يزالان على رأبهما الأول الخاص بالدفاع عن حقوق العرب وبعد بأن الحكومة البريطانية عازمة على تقديم كل مساعدة للعرب ضد الأتراك الذين سوف يدخلون الحرب في زمرة الأعداء .

وعاد المندوب دون جواب ، فلم تطق بريطانيا صبرا وهي المتحرقة على فتح جبهة جديدة هامة ضد الأتراك ، عندما يحاربون ، ومن مكان كانوا يأمنونه ويركنون فيه الى الهدوء والاطمئنان ، فلم يمض أسبوعان حتى عاد المندوب من جديد ومعه رسالة موجزة ملحة تصور مبلغ القلق البريطاني والتلهف على رد الشريف حسين وكان نصها :

« ان الفرصة سانحة لكم لتحقيق مطالب العرب ، فأنا آسف لتركم كتابي بلا جواب ، وآمل الاسراع في ارسال الرد على سؤالي » .

ولكن المندوب الذي لم ينل جوابا ولثاني(٤٦) مرة عاد من جديد برسالة ثالثة ، وكان ذلك في نوفمبر (تشرين ثاني) من عام ١٩١٤ ومعه رسالة تكرر :

« اننا على استعداد لمساعدة شريف مكة في قضيته ، وتقديم كل ما يريده من مساعدة » .

(٤٦) المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٢٨ .

على ان اولئك الذين اجتمعوا في منزل الأيوبي ، صدموا باحكام الاعدام وتنفيذها ، فكانوا بعد ذلك من اكثر المشجعين على الثورة والمهتمين بها ، ولقد حدث بعضهم فيصل فاكدوا له استعدادهم ، وأنهم لا يطلبون الا قيادة والده الشريف حسين ، وأعطاه الشيخ بدر الدين الحسيني أكبر علماء دمشق خاتمه لتسليمه الى والده في مكة دليل الاستعداد والموافقة ، فأخذه الى والده في مكة (٤٣) .

هذه صورة بيانية عن الحالة بين العرب والأتراك ، وهي صورة مليئة بالخطوط المتعارضة وبالظلال الكثيفة السوداء ، التي لا ريب أن جمالا حاكم الشام التركي والذي لقبه العرب بجمال السفاح ، يتحمل فيها الوزر الأكبر والأثم التاريخي الكبير ، فهو راسمها وطابعها ، « وهو الذي جعل أسباب الثورة العربية أكثر دفعا للعرب واشد تحمسا » (٤٤) ، وهو الذي عبد بذلك الطريق الذي سلكه الانجليز في التفرير بالشريف حسين وقومه العرب .

على ان الوثائق التي تكشف خلال الحرب العامة ، وأثناء الثورة الشيوعية اثبتت ان جمالا هذا كان يبدي عناية كبيرة بالأرمن المبعدين من تركيا ، وكان هؤلاء يفاوضونه باسم المخابرات البريطانية والفرنسية عملا على مساعدته نائرا ضد الخلافة وحكام الاستانة(٤٥) . والرجل الذي يفاوض الأعداء ضد دولته في أثناء الحرب لا يستغرب منه أن يسير مساعدا لمخطط يعمل لهدم روح التعاون بين العرب والأتراك تجاه الأعداء .

(٤٣) بقظة العرب ص ٢٤٤ - ٢٤٥ .

(٤٤) أنيس صايغ : الهاشميون والثورة العربية الكبرى ، بيروت ١٩٦٦ ص ٧١

(٤٥) الثورة العربية الكبرى ، ج ١ ص ٦٣ ، ١٦٨ ، ١٦٦ .

الاحيرة ان يعيشوا ، وان يفوزوا بحريتهم المطلقة ، وان يتسلموا مقاليد الحكم نظريا وعمليا بأيديهم ، ولما كان هؤلاء قد شعروا انه من مصلحة حكومة بريطانيا العظمى ان تساعدهم وتعاونهم للوصول الى امانهم المشروعة ، وهي الاماني المؤسسة على بقاء شرفهم وكرامتهم وحياتهم ...

ولما كان من مصلحة العرب ان يفضلوا مساعدة حكومة بريطانيا عن اية حكومة اخرى نظرا لمركزهم الجغرافي ، ومصالحهم الاقتصادية وموقفهم من حكومة بريطانيا ...

انه بالنظر لهذه الاسباب كلها يرى الشعب العربي ان من المناسب ان يسأل الحكومة البريطانية اذا كانت ترى من المناسب ان تصادق بواسطة مندوبها او ممثلها على الاقتراحات الاساسية التالية :

اولا : ان تعترف انجلترا باستقلال البلاد العربية من مرسين - ادنه - حتى الخليج الفارسي شمالا ، ومن بلاد الفرس حتى خليج البصرة شرقا ، ومن الهندي للجزيرة جنوبا ، يستثنى من ذلك عدن التي تبقى كما هي ومن البحر الاحمر والبحر المتوسط حتى مرسين (٤٨) غربا ، على ان توافق انجلترا ايضا على اعلان خليفة عربي على المسلمين .

ثانيا : تعترف حكومة الشريف العربية بأفضلية انجلترا في كل مشروع اقتصادي في البلاد العربية اذا كانت شروط تلك المشاريع متساوية .

(٤٨) جرت اغلب المؤلفات العربية على نشر الحدود المطلوبة من الشريف في مكاباته بصيغة تحتاج الى امان ، والنص الوحيد الذي بدأ لنا سليما جدا هو التعبير الانجليزي المنشور في مجلد الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين الذي نشرته الامانة العامة للجامعة العربية ونصه كما يلي :

Great Britain recognises the independence of the Arab countries which are bounded : on the north by the line Mersin-Adana to parallel 37 on and thence along, the line Birejik-Urfe-madait-Jajirat (ibn Umer) Amadia to the Persian frontier, on the east by the Persian frontier down to the Persian Gulf; on the south, by the Indian Ocean (with the exclusion of Aden whose status will remain as at present); on the west by the Red Sea and the Mediterranean Sea back to Mersin.

وهنا جاء الرد الاول من الشريف حسين :

« ليس في استطاعتي ان اعمل شيئا قبل ان استشير العرب ، واسألهم رأيهم » .

كان الشريف حسين يمر ساعتئذ بأزمة نفسية حادة ، فقد كان في صراع بين الغريزة والروح ، انها ازمة الاقدام على قرار خطير ، يحارب به الدولة التي ارتبط بها العرب اربعة قرون ، واختلط اثناءها الدم العربي بالدم التركي ، وسالا في معارك طويلة ضد البلغار والروس واليونان ، وفي مختلف بقاع الامبراطورية الكبيرة .

ومضت فترة طويلة لم يحفظ فيها التاريخ مراسلات جديدة ، ولا ريب انها الفترة التي حاول فيها الحسين ان يتفاهم مع جمال باشا ، ومع الاتحاديين بالعاصمة الكبيرة ، وهي الفترة التي قام فيها باتصالاته وبإيفاد ابنه فيصل طالبا اعلان العفو عن المعتقلين ، والوصول الى تفاهم حول آمال العرب الكبرى ، والظاهر انه تأكدت لديه نية جمال باشا المتجه الى القمع والاعدام ، ورمى الحسين حينئذ آخر سهم لديه كان يشده الى الأمل .

٧ - مراسلات حسين - ماکماهون :

في شهر يوليو (تموز) سنة ١٩١٥ كان الشريف حسين يبعث بمذكرته التاريخية الى سير ماکماهون نائب ملك بريطانيا في مصر .

وتقتضينا امانة البحث العلمي ان ننشر هنا النص الحرفي لأولى رسائل الشريف حسين الى ماکماهون ، وهي مؤرخة في ١٤ من يوليو (تموز) ١٩١٥ :

المذكرة الأولى من الشريف الحسين الى ماکماهون(٤٧) :

تبدأ المذكرة بعد عبارات من المجاملة والنصح بالتوقف عن ارسال المناشير بالطائرات وتقول :

« لما كان العرب بأجمعهم - دون استثناء - قد قرروا في الأعوام

(٤٧) الامانة العامة لجامعة الدول العربية : الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين المجموعة الاولى ١٩١٥ - ١٩٤٦ القاهرة ١٩٥٧ وثيقة رقم ١ ص ٦ - ٨ .

من مآكامهون الى الشريف حسين (٤٩) :

« الى السيد الحبيب النسيب ، سلاله الأشراف وتاج الفخار وفرع الشجرة المحمدية ، والدوحة القرشية الأحمديّة ، صاحب المقام الرفيع والمكانة السامية ، السيد ابن السيد والشريف ابن الشريف السيد الجليل المبجل ، دولة الشريف حسين سيد الجميع أمير مكة المكرمة ، قبلة العالمين ومحط رجال المؤمنين الطائعين ، عمت بركته الناس أجمعين .

بعد رفع رسوم وافر التحيات العاطرة ، والتسليمات القلبية الخالصة من كل شائبة ، نعرض ان لنا الشرف بتقديم واجب الشكر لآظهاركم عاطفة الاخلاص وشرف الشعور والاحساسات نحو الانجليز ، وقد يسرنا علاوة على ذلك ان نعلم ان سيادتكم ورجالكم على رأي واحد ، وان مصالح العرب هي نفس مصالح الانجليز والعكس بالعكس ، ولهذه المناسبة فنحن نؤكد لكم اقوال فخامة اللورد كنشور التي وصلت الى سيادتكم على يد علي أفندي ، وهي التي كان موضحا بها رغبتنا في استقلال بلاد العرب وسكانها، مع استصوابنا للخلافة العربية عند اعلانها.

وانا نصرح مرة اخرى ان جلالة ملك بريطانيا العظمى يرحب باسترداد الخلافة الى يد عربي صميم من فروع تلك الدوحة النبوية المباركة .

واما بخصوص مسألة الحدود والتخوم ، فالمفاوضة فيها تظهر انها سابقة لاوانها وتصرف الاوقات سدى في مثل هذه التفاصيل في حالة ان الحرب دائرة راحها ، ولان الأتراك ايضا لا يزالون محتلين لأغلب تلك الجهات احتلالا فعليا ، وعلى الأخص ما علمناه وهو ما يدهش ويحزن ان فريقا من العرب القاطنين بين تلك الجهات نفسها قد غفل وأهمل هذه الفرصة الثمينة التي ليس اعظم منها ، وبدل اقدم ذلك الفريق على مساعدتنا نراه قد مد يد المساعدة الى الألمان والظالمين القدماء وهم الأتراك.

مع ذلك فانا على كمال الاستعداد لان نرسل الى ساحة دولة السيد الجليل وللبلاد العربية المقدسة والعرب الكرام من الحبوب والصدقات المقررة من البلاد المصرية ، وستصل بمجرد اشارة من سيادتكم وفي المكان الذي تعينونه ، وقد عملنا الترتيبات اللازمة لمساعدة رسولكم في جميع سفرائه الينا ، ونحن على الدوام معكم قلبا وقالباً ، مستنشقين رائحة

(٤٩) المصدر السابق ، وثيقة رقم ٢ ص ٩ - ١٠ .

ثالثا : تتعاون الحكومتان الانجليزية والعربية في مجابهة كل قوة تهاجم احد الفريقين ، ذلك حفظا لاستقلال البلاد العربية ، وتأمينا لأفضلية انجلترا الاقتصادية فيها . . . على ان يكون هذا التعاون في كل شيء في القوة العسكرية والبحرية والجوية . . .

رابعا : اذا تعدى احد الفريقين على بلاد ما ونشب بينه وبينها قتال وعراك فعلى الفريق الآخر ان يلزم الحياض ، على ان هذا الفريق المعتدي اذا رغب في اشراك الفريق الآخر معه ففي وسع الفريقين ان يجتمعا معا وان يتفقا على الشروط .

خامسا : مدة الاتفاق في المادتين الثالثة والرابعة من هذه المعاهدة خمس عشرة سنة ، واذا شاء احد الفريقين تجديدها عليه ان يطلع الفريق الآخر على رغبته قبل انتهاء مدة الاتفاقية بعام .

هذا ولما كان الشعب العربي بأجمعه قد اتفق (والحمد لله) على بلوغ الغاية وتحقيق الفكرة مهما كلفه الامر ، فهو يرجو الحكومة البريطانية ان تجيبه سلبا او ايجابا في خلال ثلاثين يوما من وصول هذا الاقتراح ، واذا انقضت هذه المدة ولم يتلق من الحكومة جوابا فانه يحفظ لنفسه حرية العمل كما يشاء .

وفوق هذا فاننا نحن عائلة الشريف نعتبر انفسنا - اذا ام يصل الجواب - احرارا في القول والعمل من كل التصريحات والوعود التي قدمناها بواسطة علي أفندي .

وكانت مذكرة واضحة تحدد مطالب العرب في خلق دولة كبرى مستقلة وخلافة اسلامية يرأسها عربي ، وتحدد وقتا للاستجابة لا يزيد عن ثلاثين يوما ، انها مذكرة من يشعر بأهمية حركته وقيمتها الكبرى ، ويتحدث في اعتزاز طالبا عهدا لم يخالجه الشك في صدق اعطائها وتنفيذها .

وجاء رد مآكامهون ردا انجليزيا واهنا مفعما بالاسراف في اضاء القاب التمجيد والتفخيم والتزلف ، وسنرى ان الحسين استاء من هذا الهراء ، وأعرب عن استيائه في رده ، وما دامت الأحداث اللاحقة قد اوضحت لنا مقدار تعمد الانجليز للخيانة والتفجير ، وما دما قد تعلمنا ان الكلمة تعطى مدلول لفظها الا عند الانجليز ، فلا بد من ايراد تلك العبارات الواردة في رد مآكامهون ، لنذكر في خاتمة المأساة عمق استهانة الانجليز بالالفاظ والقاب التجلة والاحترام :

مودتكم الزكية ومستوثقين بعري محبتكم الخالصة ، سائلين الله سبحانه وتعالى دوام حسن العلائق بيننا .

وفي الختام ارفع الى السدة العلية كامل تحياتي وسلامي وفائق احترامي .

المخلص

تحريرا في ١٩ شوال ١٣٣٣ هـ .
الموافق ٣٠ اغسطس ١٩١٥ م .
(السير آرثر ماكماهون)
نائب جلالة الملك

ال الشريف يُؤنب ماكماهون :

وفي رد الشريف على هذه الرسالة ، يزداد وضوحه في مطالبه ، وتقوى عباراته وتمسكه بالحدود المهمة للدولة العربية ، بل انه يسجل ان وجود فرنسا في شواطئ بيروت لا بد ان يبحث بعد الحرب ، وان البلاد كلها عربية ، واصفا كتاب ماكماهون بالبرود والتردد والغموض ، فيقول في رسالته المؤرخة في ٢٩ من شوال سنة ١٣٣٣ هـ . الموافق ٩ من سبتمبر (ايلول) ١٩١٥ :

« طالعت كتابكم بكل احترام واعتبار رغم شعوري بغموضه وبرودته وتردده فيما يتعلق بنقطننا الأساسية ، اعني نقطة الحدود » .

وبعد بعض عبارات المجاملة يضيف :

« يجب ان اؤكد لكم ايضا ان مصالح اتباع ديانتنا كلها تتطلب الحدود التي ذكرتها لكم ، وان هذه الحدود المطلوبة ليست لرجل واحد لتتمكن من ارضائه ومفاوضته بعد الحرب ، بل هي مطالب شعب يعتقد ان حياته في هذه الحدود ، وهو متفق بأجمعه على هذا الاعتقاد ، وهذا ما جعل الشعب يعتقد ان من الضروري البحث في هذه النقطة قبل كل شيء مع الدولة التي يثقون بها كل الثقة ، ويعلقون عليها الامال وهي بريطانيا العظمى » .

ويضيف في قضية الحدود قوله :

« وانا على ثقة يا صاحب الفخامة انكم لا تشكون قط بانني لست انا شخصا الذي يطلب تلك الحدود التي يقطنها عرب مثلنا ، بل هي مقترحات شعب بأسره يعتقد انها ضرورية لتأمين حياته الاقتصادية » .

الحسين لم يفرط ابدا في الحدود :

ثم يسير في نقاش مهم ردا على رسالة ماكماهون ، ويعود الى موضوع الحدود قائلا :

« واود هنا يا صاحب الفخامة ان اؤكد لكم بصراحة ، ان كل الشعب ومن جملته هؤلاء الذين تقولون انهم يعملون لصالح تركيا والمانيا ، ينتظرون بفارغ الصبر نتائج هذه المفاوضات ، المتوقفة على موافقتكم ، او رفضكم ، قضية الحدود ، وقضية المحافظة على ديانتهم ، وحمائتهم من كل اذى او خطر » .

ثم ينتقل بعد قليل الى اشعار حليفته الجديدة ان دولته العربية المرتقبة لا توافق حتى على مجاورة فرنسا في بقعة صغيرة من الوطن العربي فيقول :

« ولذلك نرى من واجبنا ان نؤكد لكم اننا سنطلب اليكم في اول فرصة بعد انتهاء الحرب ما ندعه الآن لفرنسا في بيروت وسواحلها .

ولست ارى حاجة لان الفت نظركم من الآن الى ان خطتنا هي آمن على مصالح انجلترا من خطة انجلترا على مصالحنا ، ونعتقد ان وجود هؤلاء الجيران في المستقبل سيقلق افكارنا كما يقلق افكارها . وفوق هذا فان الشعب البيروتي لا يرضى قط بهذا الابتعاد والانزواء ، وقد يضطروننا لاتخاذ تدابير جديدة قد يكون من شأنها خلق متاعب جديدة تفوق في صعوبتها المتاعب الحاضرة ، وعلى هذا لا يمكن السماح لفرنسا بالاستيلاء على قطعة صغيرة من تلك المنطقة (٥٠) .

وبسرعة وصل الرد من ماكماهون وفيه الاعتذار عما فهم الشريف من برود الرد السابق .

وانه لايضاح اساليب التفرير الانجليزية واثباتها امام التاريخ الذي سجل نتائج تلك المراسلات ، ينبغي ان نثبت رد ماكماهون نائب ملك بريطانيا كما سجلته الوثائق الرسمية :

(٥٠) ان هذا الجزء الذي اثبتناه هنا من رسالة الشريف حسين القوية الى ماكماهون نشر تحت رقم ٣ ص ١١ في مجلد الجامعة العربية عن الوثائق الرئيسية لقضية فلسطين مأخوذا عن النص الرسمي الذي وزعته بريطانيا في لندن اثناء مؤتمر فلسطين عام ١٩٣٩ وقد اثبتنا هنا اهم ما في الخطاب متعلقا بالحدود التي يطالب بها الحسين لدولته كشرط للثورة وهي حدود تشمل فلسطين دون شك.

« الى فرع الدوحة الحمدية ، وسلالة النسل النبوي الحسيب النسيب ، دولة صاحب المقام الرفيع الامير المعظم السيد الشريف بن الشريف امير مكة المكرمة صاحب السدة العلياء ، جعله الله حرزا منيعا للاسلام والمسلمين بعونه تعالى آمين ، وهو دولة الامير الجليل الشريف حسين بن علي ، اعلى الله مقامه .

قد تلقيت بيد الاحتفاء والسرور رقيمكم الكريم المؤرخ بتاريخ ٢٩ شوال ١٣٣٢ وبه من عباراتكم الودية المحضة واخلاصكم ما اورثني رضاء وسرورا .

انه ليوسفني انكم لاحظتم في كتابي الاخير وحديثي عن قضية الحدود شيئا من البرود والتردد ، مع اني لم اكن اقصد ذلك بل كنت اود ان اقول بان الوقت لم يحن بعد للبحث فيها بحثا منتجا ، وقد ادركت انكم تعلقون اهمية كبرى على قضية الحدود ، وانكم تعتبرونها من المسائل الحيوية ، فارسلت مضمون كتابكم الى الحكومة البريطانية ، وانه ليسرني ان ارسل اليكم البيانات التالية ، والتي اتق كل الثقة بانها ستفوز برضاكم :

ان مرسين واسكندرونة ، وبعض الاقسام السورية الواقعة غربي دمشق وحمص وحلب ، لا يمكن ان يقال عنها انها عربية محضة ، فيجب ان تستثنى من الحدود التي ذكرتموها ، ونحن على استعداد للموافقة على تلك الحدود . اما الاراضي التي تستطيع انجلترا فيها العمل بالحرية ، ودون ان توقع ضررا بحليفها فرنسا ، فان لي السلطة التامة باسم حكومة صاحب الجلالة ان اعطيكم التامينات التالية جوابا على كتابكم :

١ - ان انجلترا مستعدة على اساس تلك التعديلات ان تعترف باستقلال العرب ، وتقديم المساعدة لهم في الحدود التي اقترحها الشريف مكة .

٢ - تحمي بريطانيا الاراضي المقدسة من كل اعتداء خارجي وتعترف بوحدتها .

٣ - تقدم بريطانيا للعرب عند الحاجة كل مساعدة ، او نصيحة تلزم ، وتعاونهم في تشكيل افضل شكل من اشكال الحكومات في مختلف البلاد العربية .

اما ما يتعلق بولايتي البصرة وبغداد ، فان العرب يعرفون ان مركز انجلترا ومصالحها فيها تتطلب شكلا اداريا خاصا ومراقبة خاصة للمحافظة

على تلك الانحاء من الاعتداءات الخارجية ، وتأمين راحة واطمئنان السكان وتوحيد مصالحنا المشتركة فيها .

ورفض الشريف حسين في رده على ماكاهون ان يوافق مطامع بريطانيا في العراق ، ووافق لها مؤقتا ببقاء جزئي نظير اجر تستعين به الدولة العربية في فترة نموها ، وتتنازل فقط عن مرسين وادنه باعتبارهما ليستا عربيتين ، ويقول عن ملاحظات ماكاهون بالنسبة لاستثناء مناطق غربي دمشق وحلب وحمص وحماه :

« اما قضية حلب وبيروت وسواحلها فهي عربية صرفة ، وليس هناك فرق بين المسلم العربي ، والمسيحي العربي ، فكلاهما من نسل واحد ، وسوف يتمتع المسيحيون بما تتمتع به من حقوق بما يتفق ومصصلحة الشعب اجمع .

وتوالت مكاتبات الحسين وماكاهون في هذا الاطار ، ولم يخطر مطلقا ببال الاول ان هناك نية مبيتة لتقسيم بلاد العرب بين فرنسا وبريطانيا ، وان هناك تخطيطا يمكن لليهود في فلسطين ، لا سيما بعد ان اثبت ماكاهون في رسالته المؤرخة ١٤ من ديسمبر (كانون الاول) ١٩١٥ ان بريطانيا دونت طلبات الشريف حول الحدود لتراجعه مع فرنسا ، فرد الشريف انه لا يمكن ان يوافق على غير ذلك (٥١) .

٩ - بدء الثورة العربية :

انتهت هذه المكاتبات والحسين يحلم بملك عريض وامبراطورية عربية ، وخلافة اسلامية ، وفي صباح اليوم الثاني من يونيو (حزيران) ١٩١٦ ، اطلق الرصاص على القلعة التركية في مكة ، وكان ايدانا بيد صراع مرير لم تنته آثاره حتى الان .

لقد استطاعت الحيلة البريطانية التي فاوضت الشريف الحسين ان تجعله محاربا في صفها ، وصف حلفائها الفرنسيين والروس ، وان تدفعه ليقاتل هو وابناؤه جنود الدولة الكبرى التي كان العرب يسعون للاصلاح فيها ، ولا يهدفون الى تحطيمها .

وهكذا هاجم الامير علي مع ستة آلاف مقاتل « محطة المحيط » ، ثم

(٥١) المصدر السابق ، وثيقتان رقم ٦ ، ٧ ص ١٩ - ٢٢ .

وانظر ايضا محمد عزة دروزة : الوحدة العربية بيروت ١٩٥٨ ، ص ٢٢٨ .

الحسا واشتبك مع فخري باشا في صراع دموي ، واختص فيصل بطريق المدينة فتولاه بجيشه العربي .

اما عبد الله فقد كان يقيم قرب الطائف التي يوجد بها الوالي التركي غالب باشا ، وكان الجدل عنيفا بين هذا الوالي وحاشيته التي تصر على اعتقال عبد الله ، وفي يوم الجمعة ٩ من يونيو (حزيران) ١٩١٦ أعلن عبد الله انه ذاهب بعد صلاة الجمعة لتأديب قبيلة التعموم وكانت قبيلة عاصية ، وطبقا للتقاليد ذهب للقاء الوالي ووداعه ، واخترق المعسكر التركي ، فاصطف الجنود والضباط الأتراك لتحية الأمير الهاشمي ، ثم خرج الوالي لوداعه امام ضباطه وجنوده ، وتذكر الوالي ما كان يسمع من ان عبد الله ينوي مهاجمة الجيش التركي ، وظن ان من ينوي المهاجمة لا يمكن ان يأتي للوداع وبروح كلها ود واستئذان وتلطف عميق ، تذكر الوالي كل هذا فعانق الأمير عبد الله امام الجند والضباط وتفاعلت في احساسه روح الأخوة الاسلامية فبكى بكاء مرا وهو ما زال يعانق الأمير العربي وكان مشهدا مؤثرا(٥٢) .

و حين وصل الأمير خارج الطائف بادر مسرعا بتقطيع الأسلاك البرقية والتليفونية ثم هاجم الأتراك مساء في نفس « القشلاق » الذي ودع فيه الوالي ، وتبادل معه التحية والعناق .

١٠ - اتفاقية سايكس - بيكو :

عندما أعلن الحسين ثورته ضد الدولة العثمانية ، وسارت جيوشه تحاصر المدن والمواني ، وتحطم في طريقها كل ما يمكن ان تستفيد منه دولة الخلافة في حربها الضروس البعيدة المدى ، كان مخدوعا بتلك الوعود وآمنا للعظمة البريطانية ، وواقفا من انه يجب ان يسهم في نصر الانجليز ، وكان الشريف حسين يحلم ان اسهامه في هذا النصر سوف يقيم له دولة كبرى تخفق عليها الراية العربية من حدود تركيا الى سيناء ، ومن البحر الى ايران .

واستمرت ثورة الحسين تعطي كل يوم لهذا الحلف نصرا جديدا ،

(٥٢) الثورة العربية الكبرى ، ج ١ ، ص ١٤٦ .

وعلى حين فجأة احتل الشيوعيون موسكو في ثورتهم الدامية ، وأعلنوا تلك الاتفاقيات السرية التي عقدت ابان الحرب بين الحلفاء الثلاثة والتي وجدوها ضمن خزائن خارجية القصر الذبيح ، وبما لهول ما اوضحت تلك الاتفاقات .

بينما كانت بريطانيا تفاوض الشريف وتغريه وتعهده وتمنيه طوال عام ١٩١٥ م . ، وتصدر له الرسائل من القاهرة حيث دار العتمد البريطاني ، وبعد ان اطمانت الى ان ثورة العرب أصبحت حتمية ، وأن سهمها التفريزي قد نفذ واصاب ، وبعد آخر خطاب(٥٣) أرسله ماكماهون الى الشريف حسين في ١٠ من مارس (آذار) ١٩١٦ وهو الخطاب الذي يستجيب فيه لطلباته ويعلمه معتزا بما يلي :

« يسرني ان ابلغ دولتكم ان العربان الذين ضلوا السبيل تحت قيادة السيد أحمد السنوسي(٥٤) ، وهم الذين أصبحوا ضحية دسائس الأتراك والامان ، قد ابتدأوا يعرفون خطأهم وقد هزمت هذه القوات التي جمعها الدساسون ضدنا . »

وعلى التحديد في مايو (ايار) ١٩١٦ كانت بريطانيا تجلس مع فرنسا للتفاوض في مستقبل البلاد العربية ، واشرف على تلك المباحثات معتمد روسيا لتطبيق المبادئ المقررة بموجب المعاهدة الثلاثية بينهم ، ووزعت بريطانيا وفرنسا البلاد العربية على الخرائط ، ووقع عليها كل من « مارك سايكس » عضو البرلمان البريطاني والمندوب السامي لشئون الشرق الأدنى ، « والمسيو جورج بيكو » قنصل فرنسا السابق في بيروت ومعتمدها السامي

ووزعت البلاد العربية بين هاتين الدولتين ، والعرب سادرون في ثقتهم ببريطانيا ، وماضون في شحذ أسنة حراهم لمحاربة الأتراك ، والشريف آمن مطمئن لما في الحافظة من رسائل ، ولما في الرسائل من عهود ومواثيق . .

ولهذا من غير الطبيعي ان يتحدث منصف عن وعود الانجليز للعرب دون ان يسجل ان النية كانت مبيتة لخلفها قبل ان تسطر نصوصها .

(٥٣) الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين ، وثيقة رقم ١٠ ص ٢٧ - ٢٨

(٥٤) هاجم الامام أحمد الشريف السنوسي بالتعاون مع الأتراك حدود مصر الغربية من ليبيا قاصدا تخفيف الضغط البريطاني على قناة السويس ، وقد احتل السلم وسيدي براني وأنزل بالانجليز خسائر كبيرة في معركته المشهورة ، وقد فشلت هذه الحملة السنوسية لعوامل اقتصادية وعسكرية ليس هنا موضع شرحها . وسوف نفضلها في بحث عن ليبيا .

وفي يوم ٩ من مايو (ايار) ١٩١٦ تلقى وزير الخارجية البريطانية من
سفير فرنسا في لندن خطابا يقول فيه :

« امرت ان ابلفكم ان الحكومة الفرنسية قبلت الحدود التي رسمت
على الخرائط الموقعة من جانب السير مارك سايكس والمسيو جوزج بيكو »
ورضيت بالمبادئ التي دارت عليها المفاوضات بينهما « (٥٥) .

ثم ارفق بالخطاب المعاهدة المشار اليها ، او التوزيع المسطر على
الخريطة والمثبت في مواد تعطي لكل دولة منطقة نفوذ ، وتحصر الاستقلال
العربي الخاضع لاشراف احدى الدول في مناطق داخلية ضيقة ، وتمزق
بلاد العرب تمزيقا كان اشنع ما عرف منذ ان انتشر العرب في منطقتهم
الكبرى خلال قرون طويلة .

وانه من المهم لمن يطلع على مراسلات الشريف حسين مع ماكماهون
ان يطلع ايضا على النصوص الرسمية لاتفاقية سايكس - بيكو :

معاهدة سايكس - بيكو

في يوم ٩ من نوفمبر (تشرين ثاني) سنة ١٩١٥ عينت الحكومة
الفرنسية جورج بيكو قنصلها العام في بيروت سابقا ، مندوبا ساميا لمنابعة
شؤون الشرق الادنى ، ولمفاوضة الحكومة البريطانية في مستقبل البلاد
العربية ، فلم يلبث ان شد زحاله الى القاهرة ، فاجتمع الى السير مارك
سايكس النائب في مجلس العموم البريطاني والمندوب السامي لشؤون
الشرق الادنى ، وكانت المواد التي اسفر عنها الاجتماع هي :

المادة الاولى : ان فرنسا وبريطانيا العظمى مستعدتان ان تعترفا
وتحميا دولة عربية مستقلة او حلف دول عربية تحت رئاسة رئيس عربي في
المنطقتين (ا) داخلية سورية ، (ب) داخلية العراق ، البينتين في الخريطة
الملحقة بهذا ، ويكون لفرنسا في منطقة (ا) ولانكلترا في منطقة (ب) حق
الاولوية في المشروعات والقروض المحلية ، وتنفرد فرنسا في منطقة (ا)
وانكلترا في منطقة (ب) بتقديم المستشارين والموظفين الاجانب بناء على طلب
الحكومة العربية ، او حلف الحكومات العربية .

المادة الثانية : يباح لفرنسا في المنطقة الزرقاء (شقة سورية الساحلية)
ولانكلترا في المنطقة الحمراء (شقة العراق الساحلية من بغداد الى خليج

(٥٥) النودة العربية الكبرى ، ج ١ ص ١٨٨ .

فارس) انشاء ما ترغبان فيه من شكل الحكم مباشرة او بالوساطة او من
المراقبة بعد الاتفاق مع الحكومة او حلف الحكومات العربية .

المادة الثالثة : تنشأ ادارة دولية في المنطقة السمراء (فلسطين) يعين
شكلها بعد استشارة روسيا والاتفاق مع بقية الحلفاء وممثلي شريف مكة :
المادة الرابعة : تنال انجلترا ما يأتي :

(١) ميناء حيفا وعكا .

(٢) يضمن مقدار محدود من ماء دجلة والفرات في المنطقة (ا) للمنطقة

(ب) وتتعهد حكومة جلالة الملك من جهتها بان لا تدخل في مفاوضات ما مع
دولة اخرى للتنازل عن قبرص الا بعد موافقة الحكومة الفرنسية مقدما .

المادة السابعة : يحق لبريطانيا العظمى ان تنشئ وتدبر وتكون
المالكة الوحيدة لخط حديدي يصل حيفا بالمنطقة (ب) ويكون لها ما عدا
ذلك حق دائم بنقل الجنود في اي وقت كان على طول هذا الخط . ويجب
ان يكون معلوما لدى الحكومتين ان هذا الخط يجب ان يسهل اتصال حيفا
ببغداد ، وانه اذا حالت دون انشاء خط الاتصال (ان وجدت) في المنطقة
السمراء مصاعب فنية ونفقات وافرة لادارته تجعل انشاءه متعذرا ، فالحكومة
الفرنسية تكون مستعدة ان تسمح بمروره في طريق بريرة - ام قيس -
ملقى - ايدار - فسطا مغيار ، قبل ان يصل الى المنطقة (ب) .

المادة التاسعة : من المتفق عليه ان الحكومة الفرنسية لا تجري مفاوضة
في اي وقت كان للتنازل عن حقوقها ، ولا تعطي ما لها من الحقوق في المنطقة
الزرقاء لدولة اخرى الا للدولة او حلف الدول العربية بدون ان توافق
على ذلك سلفا حكومة جلالة الملك التي تتعهد للحكومة الفرنسية بمثل هذا
فيما يتعلق بالمنطقة الحمراء .

المادة الحادية عشرة : تستمر المفاوضات مع العرب باسم الحكومتين
بالطرق السابقة نفسها لتعيين حدود الدولة او حلف الدول العربية .

المادة الثانية عشرة : من المتفق عليه عدا ما ذكر ان تنظر الحكومتان
في الوسائل اللازمة لمراقبة جلب السلاح الى البلاد العربية (٥٦) .

(٥٦) لقد تمعدنا ان نسجل المواد المهمة في هذه المعاهدة السرية ونستغني عن بعض
المواد التفصيلية غير ذات العلاقة بهذا الموضوع . انظر النصوص الخاصة بالبلاد
العربية التي جاءت بها اتفاقية سايكس - بيكو في الوثائق الرئيسية في قضية
فلسطين ، وثيقة رقم ٢٢ ص ٨٤ - ٨٦ وانظر النصوص الكاملة لهذه الاتفاقية في
Hureuetz Cf. C. ; Diplomacy in the Near and Middle East 2
vols New York 1956 L 2 p.p. 18-22.

١١ - تصريح بالفور لليهود (٢ نوفمبر ١٩١٧) :

هناك عديد من الرسائل والعهدود تبودلت بين الشريف حسين وسير ماكماهون في سبيل استمالة العرب الى جانب بريطانيا ، ومحاربة الأتراك ، والتلويح والتعهد باقامة دولة عربية كبرى وخلافة اسلامية يرأسها عربي ، ثم تقسيم لهذه البلدان العربية بين بريطانيا وفرنسا ، ورسم خريطة توزع بمقتضاها مناطق النفوذ ، وخلق كيانات عديدة موزعة ضعيفة .



اللورد بالفور صاحب الوعد المشؤوم

كل هذا يحدث وبريطانيا تخطط لمستقبل بعيد ، وتستهدف بتخطيطها سلخ جزء مهم من الوطن العربي ، واقامة « اسفين » وسط البلاد العربية ، وخلق نقطة ارتكاز ينطلق منها الاستعمار وتستنفذ جهود العرب ، تصرفهم عن البناء والانشاء ، وتسعى لتحطيم كيانهم والتهام اوطانهم .

وبالفور وزير الخارجية الذي ارسل برقية مهمة الى الحسين والتي يتعهد فيها بحرية العرب والحفاظ على اوطانهم (٥٨) كان هو نفسه ذو الوجهين الذي اعطى وعده المشهور لليهود في ٢ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩١٧ ، بانشاء وطنهم القومي في فلسطين ، وكان بداية المعركة التاريخية التي خاضها شعب فلسطين وحده .

وقد صاغ وعده في العبارات التالية :
« عزيزي اللورد روتشليد

(٥٨) انظر وعد بالفور للعرب في الصفحات التالية من هذا الكتاب .

ويعلق احد الباحثين العرب على اتفاقية سايكس - بيكو فيقول ، انها وثيقة مروعة فليست هي فحسب وليدة الجشع في أسوأ صوره حين يكون الجشع مقترنا بالريب فيؤدي الى الحماسة ، بل هي ايضا صورة مرعبة للمخادعة والمكر (٥٧) .

والحق ان اتفاقية سايكس - بيكو قد وضعت عراقيل امام الوحدة العربية ، وعملت على تفتيت الشرق العربي الآسيوي كما انها تتعارض تعارضا صارخا مع ما كان قد تم الاتفاق عليه بين العرب والانجليز في مراسلات حسين - ماكماهون مما يجعل اتفاقية سايكس - بيكو صورة بشعة لنفاق السياسة الانجليزية تجاه العرب .

والحق ان بريطانيا وفرنسا وغيرهما من دول الصليبية الاستعمارية ، حافظتا على روح اتفاقية سايكس - بيكو التي نفذت بكل اهتمام ، واصبح لفرنسا كامل النفوذ في البلاد السورية ، التي جزئت ليتمكن اليهود من فلسطين تحت رعاية من بريطانيا .

كما اصبح لبريطانيا كامل النفوذ في العراق وفلسطين والأردن ، ومنع السلاح عن العرب بموجب هذه الاتفاقية ، فلم تتمكن هذه الحكومات الهزيلة التي اقيمت شكلا في بعض البلدان من التسلح ، الامر الذي ظهرت آثاره واضحة عام ١٩٤٨ حين استطاع اليهود جلب السلاح من جميع اوربا ومن امريكا . وحرار العرب من اين لهم السلاح ؟ فقد اوصدت بريطانيا ابوابها وتبعتها فرنسا وامريكا ، كما اوصدتها روسيا وتشيكوسلوفاكيا في ذلك الوقت ، وحين باعت بعض المصانع الإيطالية كميات من السلاح للعرب ، كانت علة التساهل هو ان السلاح كان فاسدا ومدمرا لمستعمله ، لا لمن يوجه اليه ، بينما اعطي لليهود بسماع وكرم على مختلف انواعه .

وحين وقف الرئيس جمال عبد الناصر عام ١٩٥٥ واعلن ان احتكار السلاح قد حطم ، وانه قد تمكن من استيراد الأسلحة الى مصر ، هاجت بريطانيا ودول المعسكر الغربي وضجوا في قلق وحيرة فقد ازعجهم ان يتمكن العملاق الذي اوصدوا عليه القمقم بالمادة ١٢ من اتفاقية سايكس - بيكو ، ان يحطم قمقمهم وان يخرج حرا متجاهلا لهم متسلحا وبانيا لنفسه .

(٥٧) بقظة العرب ، ص ٢٥٢ .

ولما تلقى فيصل هذه الرسالة أحالها الى والده في الحجاز فقد كان هو المرجع الأعلى في مثل هذه المسائل المهمة .

ولا ريب أن الشريف تأثر جدا بهذه الاتفاقية التي فوجيء بها ، ولكنه لم يفكر مطلقا في امكان خلع المحالفة المعقودة مع بريطانيا ، ولعله اعتقد أن خطاب الأتراك وما صاحبه ليس الا خدعة يراد بها اضعاف جانب أعدائهم .

ويظهر أن الحركة العربية آنذاك كانت حركة مرتجلة غير مدروسة ، وأن الشريف كان يحتاج الى هيئة عربية مليئة بالعلم وغنية بالثقافة ، يعود اليها وتمده بالرأي والمشورة ، ذلك أنه لو كانت هناك هيئة عربية عليمه او قيادة سياسية مدركة ، لاتخذ الحسين طرقا عديدة للتأكد من صحة تلك الاتفاقية او عدمها ، ولبنى قراره على ما يتضح بعد ذلك ، ولما اقدم على بعث تلك الرسالة التركية التي تعد العرب بالدولة الاتحادية وتكشف لهم نوايا حلفائهم المخادعين الى سير ريجنالد ونجت المندوب السامي البريطاني في مصر وقتذاك ، وطلب منه تفسيرا عن هذه الاتفاقية السرية ، وشعر الأخير بحرج كبير ، ولم يجد مخرجا من هذا المأزق الا أن أحال بدوره الموضوع الى وزارة الخارجية البريطانية التي ما كادت تتسلم رسالة الحسين حتى أدركت أن ذلك الميدان الحربي الكبير الذي ائقل كاهل تركيا والذي خفف عن بريطانيا وحلفائها ونصرهم ، يوشك أن ينقلب فيه ميزان القوى ، وخشيت أن يعقد العرب صلحا منفردا مع الأتراك ويقبلوا ذلك العرض الهام القوي ، فشاء وزير الخارجية ارثر جيمس بالفور صاحب الوعد المشهور أن يوغل ايغالا بعيدا في خديعة العرب ، وأبرق الى الملك حسين ينكر وجود معاهدة معقودة ، بل ان ما وجده البولشفيك في وزارة الخارجية الروسية لم يكن سوى محادثات مؤقتة بين انجلترا وفرنسا وروسيا في اوائل الحرب وقبل قيام الثورة العربية ، واتهم جمال باشا بالخيب والجهل (٦٠) .

على أن بالفور لم يقنع بهذه البرقية ، بل قرنها بمذكرة رسمية حررت باللغة العربية ومؤرخة في ٨ من فبراير (شباط) ١٩١٨ عهد الى الكولونيل باست المقيم البريطاني في جدة برفعها الى الحسين ملك الحجاز ، ويحسن بنا اثبات صورتها الزنكوغرافية هنا :

(٦٠) حافظ وهبة : جزيرة العرب في القرن العشرين ، ص ٢٢٦ .

ان حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف الى اقامة وطن قومي في فلسطين للشعب اليهودي وسوف تفرغ خير مساعيها لتسهيل بلوغ هذه الغاية ، وليكن معلوما أنه لا يسمح باجراء شيء يلحق الضرر بالحقوق المدنية والدينية التي للطوائف غير اليهودية الموجودة في فلسطين الآن ، او بالحقوق التي يتمتع بها اليهود في البلدان الأخرى وبمركزهم السياسي فيها (٥٩) .

١٢ - تسليح بالفور للعرب :

ان اتفاقية سايكس - بيكو التي أبرمتها بريطانيا في مايو (ايار) ١٩١٦ لم يعلم بها العرب ، ولم تدع نصوصها ، ولا كان من المقدر أن تعرف ، لولا اندلاع الثورة الشيوعية التي ارادت ان تعلن كل أسرار الحرب والاتفاقات السرية بين الدول الثلاث .

وسرعان ما تلقفتها تركيا ، وسارع احمد جمال باشا قائد القوات التركية في الشام الى ايفاد رسول الى العقبة في الأسبوع الأخير من نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩١٧ ، وكان يحمل رسالتين مؤرختين في ٢٦ من نوفمبر (تشرين ثاني) احدهما مسهبة الى الأمير فيصل والأخرى موجزة الى جعفر باشا ، وقد ذكر جمال باشا في رسالتيه أن فيصل واباه قد ضللتها الوعود التي اعطتها بريطانيا باستقلال البلاد العربية ، وأكد أن بريطانيا وفرنسا قد وضعتا مخططا استعماريًا خطيرا لاقتسام البلاد العربية وقال ان الواجب الديني يدعو فيصل واباه الى العودة الى حظيرة دولة الخلافة الاسلامية .

ووجه الدعوة الى فيصل كي يحضر الى دمشق آمننا مطمئنا لمقد اتفاق ينص على اعطاء الولايات العربية في الدولة العثمانية استقلالًا ذاتيًا تتحقق به جميع الاماني القومية للعرب ، وأن سلطان تركيا وامبراطور المانيا يضمنان الاستقلال ، وأن ينضم العرب الى الأتراك في محاربة القوى الاستعمارية التي تريد التغلغل في البلاد العربية .

وخلص جمال باشا من هذا العرض الى القول بأنه جدير بالزعماء العرب الا يخدعوا انفسهم ، والا يخونوا الامانة ، وعليهم أن يدركوا أن التعاون مع بريطانيا وحليفها سيجر البلاد العربية الى المذلة والمهانة ، والاستعباد ، على يد بريطانيا وفرنسا وروسيا .

(٥٩) دكتور محمد حافظ غانم : المشكلة الفلسطينية على ضوء احكام القانون الدولي من مطبوعات معهد الدراسات العربية العالمية التابع لجامعة الدول العربية القاهرة ١٩٦٥ ص ٥٨ .

كتاب الكولونيل باست الى المرحوم الملك حسين

الشتمل علي نص برقية اللورد بالفور وزير الخارجية البريطانية

مع في روبري ١٩١٧ - ١٩١٧/٤٧

تجدوا صاعدا سيادة الظن ملكة الحجاز وبيته مكر وادراكها المظن
 بعد ما يه ما يجي بيانه سلاسله والنوق قد اميرت حيا ب تمامه المثل مبول الملك
 انه بلغ جعلتكم الرقة التي وصلت اليها منته من نظارة الخارجية البريطانية
 بلفه قد قد عنونتم مكره مولا ملك بريطانيا العظمى باسم جعلتكم وهذا هو
 بالحق الما حرا -

كلمة تقية والصراحة التامة التي اتخذتموها جعلتكم في اعوانكم التورات
 التي اسرنا القائد الركن نوربا الى اسر الاور في صل وفضل باشا الاحياء
 فقامت تامة جعلتكم الملكة كما له لها اعظم الشكر الجسم لدى مكره جعلتكم
 ملكة بريطانيا العظمى وانه الاوصاف التي اتخذتموها جعلتكم في هذا الصدد
 لا تكتمه رملا لمبرعه تلك الصداقة والصراحة التي كانت دائما لها الصداقة
 بغيره كونه الحكومة المحارزة ومكره جعلتكم ملكة بريطانيا العظمى وبالرغم
 الى دليل انه السياسة التي تنسب عليها تركيا هي ايجاد الازمنة والملك منه
 دول الخلفاء والعرب الذين هم تحت قيادة وعظيم اشراف جعلتكم في ذلك
 الامة الشقا لطغروا باعادة هراتهم القديمة انه السياسة التركية لرفعنا
 نفوس ذلك الازمنة به انه ترستوس للعرب انه دول الخلفاء لرفعهم في
 الازمنة العربية ولفظ باذعانه دول الخلفاء انه يمكن ايجاد الوقت عندكم
 وكلمة اقواله الدساسة لن نفوس على ايجاد الشقا بهه الالديه الجرحه
 عقولهم الى فكر واحد وغرض واحد .

انه مكره جعلتكم ملكة بريطانيا العظمى ولفظها ما زالت واقفة موقف الثاب
 لكل بعينه لردس لا محرم الوم المظنوه وهو بصحة انه تقف بجانب
 الوم العربية لرجو دها لده تبين عالما عربيا الذي لورد فيه القانو
 واستمر في دول الظلم العثماني وتجد التنافس الضائع الذي احد ثته
 الصفاة الرسمية التركية وانه مكره جعلتكم ملكة بريطانيا العظمى
 تكدر وعدها السانف بخصه تحريم الوم العربية وانه مكره جعلتكم
 ملكة بريطانيا العظمى قد ملكت ملكة سياسة التوسير وتصد انه

تسم غلته بكل استقامة ولفظها به كلف العرب الازمنة محرروا انه
 السقوط في وحدة الدمار وتساعد لبعينه الذيه لوزير الوم تحت لير الظلم

لينا لخر هريتهم (الزهره)
 وفي الختام التمس قبول خلاص النجيات وعظيم ارضنا ما والتمنيات
 تامة لبعينه ليرتكم
 الكولونيل بيست

(Handwritten signature)

حسين ، فسعى ليتحقق من أمر تلك الشكوك بالطريقة الوحيدة التي يسلكها
 رجل شريف ، ذلك بأن عرضها على حلفائه ، وكان الرد الذي تسلمه منهم
 يهدف بوضوح الى مخادعته ، لا لأنه رد حاد عن صلب الموضوع فحسب ،
 تجنب الاجابة على هذا السؤال هل صحيح ان الحلفاء عقدوا اتفاقات
 سرية ذات اثر في تدبير البلاد العربية في المستقبل ؟ بل لأنه كان ردا مطويا
 على المخادعة والغش اذ كسا التهرب من الاجابة لغة توحى بأن مثل تلك
 الاتفاقات لم تعقد ابدا ، وتقبل حسين هذه الرسالة الماكرة على ظاهرها ،
 وقعد مستريح البال لان ايمانه بالمعاملة النزيهة في مقاييس الخلق الانجليزي
 لم يكن قد تززع بعد (٦١) .

ويصف احد الباحثين العرب هذه الرسالة بأنها غادرة ويعلق عليها
 فيقول :
 « ان عرض الصلح الذي قدمه الأتراك اثار شكوكا في ذهن الملك

(٦١) بقطة العرب ، ص ٢٦٤ .

الفصل الثاني

بعض النتائج السريعة للثورة العربية

١ - روح صليبية صهيونية عنيفة :

وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها في نوفمبر (تشرين ثاني) من سنة ١٩١٨ ، وكانت جيوش الانجليز قد دخلت القدس في أواخر ١٩١٧ ، وهناك ترحل اللورد اللنبي القائد البريطاني ماشيا الى قلب المدينة ، كأنه يحاول التشبه بما فعله الخليفة العادل عمر بن الخطاب منذ أكثر من ألف عام ، وعندما اشرف اللنبي على كنيسة القيامة المسيحية قال :
« اليوم انتهت الحروب الصليبية » .



اللينبي القائد البريطاني يترجل في خطواته الأولى بالقدس ١٩١٧
ويعلن انتهاء الحروب الصليبية .

الوفاء ... في أوروبا

« اليوم انتهت الحروب الصليبية »

اللورد اللنبي قائد الجيش البريطاني يوم
احتلال القدس ١٩١٧

« أصبحت يوم ٢٠ يونيو ١٩١٦ وأنا أمام ثورة الشريف التي كانت
ضربة قاضية على حملة القنّاة »

مذكرات جمال باشا قائد الجيش التركي

« اشترك الجيش العربي في تمزيق شمل الجيش الرابع والجيش
السابع والجيش الثامن من العثمانيين ، واحتل مع الحلفاء دمشق وحلب
في منتهى الجراة والاقدام »

كليمنصو وزير خارجية فرنسا ١٩١٩

« ها نحن عدنا ثانية يا صلاح الدين »

الجنرال غورو الفرنسي واضعا رجليه على ضريح
البطل في دمشق ١٩٢٠

« عرضت على الحكومة البريطانية معاهدة عدلتها بحيث ينص فيها
على استقلال فلسطين وجملت وعد بالفور في حكم أنه لم يصدر ، وإذا لم
تقبل الحكومة البريطانية هذه التعديلات فلا يمكن أن أقبل المعاهدة »
منشور الحسين لشعب فلسطين ١٩٢١

« ان حكومة بريطانيا تصر بالحاح بوجوب مغادرتكم العقبة ولا يمكنها
أن تسمح لكم بالبقاء أكثر من ثلاثة أسابيع » .

من حكومة بريطانيا الى الشريف حسين
أخذته الى قبرص ١٩٢٢

« من الذي دفع اليهود وشجعهم على احتلال فلسطين وقضى على
الشعب العربي ، انها بريطانيا ، هي الداء وهي البلاء الأول » .
جمال عبد الناصر - ١٩٥٢

قم تحدث ابا علي الينا كيف غامرت في جوار الأرقام
قد رجوت من المغانم حظا ووردنا الوغي فكنا الفنائم
من رثاء شوقي للشريف حسين